أثر المنهج اللغوی فی اثبات العقائد الدینیّة نموذجا - دراسة تحلیلیة تطبیقیة

The Impact of the Linguistic Approach on Proving Religious Beliefs: An Analytical and Applied Case Study

Muzahir Ali
Ph.D. Scholar, Department of Philosophy, Al-mustafa International University, Qum, Iran.
E-mail: mazahir_a@yahoo.com

Syed Yasir Qatish
Faculty Member, Department of Philosophy, Al-mustafa International University, Qum, Iran.
E-mail: yasser.kt80@gmail.com

Muhammad Ali Muhiti Ardukan
Faculty Member, Department of Philosophy, Al-mustafa International University, Qum, Iran.
E-mail: mohiti@iki.ac.ir

Open Access Journal
Qtly. Noor-e-Marfat
eISSN: 2710-3463
pISSN: 2221-1659
www.nooremarfat.com
Note: All Copy Rights are preserved.

Abstract:
The use of the linguistic methodology to establish matters of creed is not a new; rather, it is ancient and scattered throughout linguistic books on grammar, rhetoric, and the meanings of the Quran, books of exegesis (*Tafsir*), recitations (*Qira'at*), and others. So, early scholars adhered to it to support creeds, authoring numerous works in this field and frequently citing it for creedal issues.

Among Muslim theologians, *Imamiyyah* have given significant attention to the linguistic approach in proving their religious beliefs. Al-Sayyid al-Sharif al-Radi, is a famous example is this regard who wrote two independent books on metaphor in the Quran and Sunnah, namely Talkhis al-Bayan fi *Majazat al-Quran* and *al-Majazat al-Nabawiyyah*.

Imamiyyah methodology in this regard is of paramount importance due to its significant effects and consequences in

the realms of creed. Therefore, it is imperative to study them in detail, refining their concepts, applications, analysis, comparison, critique, the reasons for their differences, and monitoring their results.

One of the results of relying on the linguistic methodology among the *Imamiyyah* is their safety from falling into the problem of anthropomorphism (*tajsim*), likening God to creation (*tashbih*), defining His modality (*takyif*), and affirming a place, direction, or spatial limitation for Him, may He be exalted.

The present study undertakes and focuses on clarifying its concept, applications, analyzing it, and explaining its most important results in the domain of creed. According to this paper, *Imamiyyah* demonstrated *Sifat Khabariyyah* (descriptive attributes of God) applying this methodology. This Paper deals with the works of some famous *Imamiyyah* theologians like Al-Sayyid al-MurtaSda in *Ghurar al-Fawa'id wa Durar al-Qala'id,* Al-Shaykh al-Mufid in *Tas-hih I'tiqadat al-Imamiyyah*, Ibn al-Hasan al-Tabarsi*,* the author of the commentary Majma' al-Bayan, Fakhr al-Din al-Turayhi in *Majma' al-Bahrain*, and likewise, Al-Shaykh Ja'far al-Subhani, in his book *al-'Aqidah al-Islamiyyah* 'ala Daw' Madrasat Ahl al-Bayt, and others.

Keywords: Linguistic Methodology, Islamic Creed, Shia *Imamiyyah*, Linguistic Analysis, Creedal Studies.

الخلاصة

إن استخدام المنهج اللغوي في إثبات مسائل العقائد ليس جديدًا، بل هو قديم ومتفرق في كتب اللغة في النحو والبلاغة ومعاني القرآن، وكتب التفسير والقراءات وغيرها. لذا التزم به العلماء الأوائل لنصرة العقائد، فألفوا فيه مؤلفات عديدة، واستشهدوا به كثيرًا في المسائل العقدية. ومن بين علماء الكلام المسلمين، أولت الإمامية اهتمامًا كبيرًا بالمنهج اللغوي في إثبات عقائدهم. ومن أشهر الأمثلة في هذا الصدد السيد الشريف الراضي، الذي ألّف كتابين مستقلين في الاستعارة في القرآن والسنة، هما: تلخيص البيان في مجازات القرآن، والمجازات النبوية.

ومنهج الإمامية في هذا الشأن بالغ الأهمية لما له من آثار ونتائج جلية في العقائد. لذا، لا بد من دراستها دراسةً معمقةً، وتنقيح مفاهيمها وتطبيقاتها، وتحليلها ومقارنتها ونقدها، وبيان أسباب اختلافها، ورصد نتائجها. ومن نتائج الاعتماد على المنهج اللغوي عند الإمامية سلامتهم من الوقوع في مشكلة التجسيم، والتشبيه، وتكييف الله تعالى، وإثبات مكان أو جهة أو حدٍّ مكانيٍّ له تعالى.

تُعنى هذه الدراسة بتوضيح مفهومها وتطبيقاتها وتحليلها وبيان أهم نتائجها في مجال العقيدة. وقد أظهرت الإمامية، وفقًا لهذا البحث، صفة الخبرية بتطبيق هذا المنهج. يتناول هذا البحث مؤلفات بعض مشاهير متكلمي الامامية كالسيد المرتضى في غرر الفوائد ودرر القلائد، والشيخ المفيد في تصحيح الاعتقادات الامامية، وابن الحسن الطبرسي صاحب شرح مجمع البيان، وفخر الدين. الطريحي في مجمع البحرين، وكذا الشيخ جعفر السبحاني في كتابه العقيدة الإسلامية على دو مدرسة أهل البيت وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: المنهج اللغوي، العقيدة الإسلامية، الشيعة الإمامية، التحليل اللغوي، الدراسات العقدية.

المقدمة

لاشک فی ان العقيدة الإسلامية تُمثل حجر الزاوية في بناء الحضارة الإسلامية، ومحور ارتكاز الهوية الإسلامية، إذ تُشكل منظومة القيم والمبادئ التي تُوجه سلوك الفرد والمجتمع. ومن هذا المنطلق، حظيت العقيدة الإسلامية باهتمام بالغ من قبل العلماء والمفكرين على مر العصور، سعياً إلى فهم أصولها ومقاصدها، وتأصيلها في النفوس معتمدين في ذلك على مناهج معينة.

وإن علم الكلام له دور أساسي في المنظومة المعرفية لأي دين، ومن الواضح بل من الطبيعي أن كل علم يعتمد على منهج خاص يتناسب مع موضوعه وينسجم مع مضمونه وغرضه، ويعدّ المنهج المدخل الأساس، وحجر الزاوية في عملية بناء المعرفة، والعلم الذي لا يعتمد على أي منهج يكون عرضة للعشوائية والتخبط ولا ضمان لإنتاجه أو بقائه تطوره. والذي يحدد المنهج للعلم هو طبيعة ذلك العلم الذي يراد إثبات مسائله، لا مزاج الباحث أو ما يتوافق عليه جماعة من الناس.

والجدير بالذكر هو أنه قد يعتمد علم واحد على مناهج متعددة لإثبات مسائله كعلم الكلام، وذلك لأجل تعدد موضوعاته ومسائله؛ لذلك يعتمد على مناهج متعددة كالمنهج العقلي الذي يعتمد على البراهين العقلية والأقيسة المنطقية، والمنهج النقلي الذي يعتمد على النص

كمرجع أساسي وغيرهما والمنهج اللغوي الذي يعتمد على أدوات اللغة وأساليبها.

وفي هذا السياق، يبرز المنهج اللغوي كأداة أساسية في فهم العقيدة الإسلامية، إذ يُعنى بتحليل النصوص الشرعية (القرآن والسنة) وفقاً لقواعد اللغة العربية وأصولها، بهدف استنباط المعاني الصحيحة وتجنب التأويلات الخاطئة. فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير، بل هي وعاء للفكر والثقافة، ومفتاح لفهم النصوص الدينية.

وتتعدد المذاهب الإسلامية التي تتبنى مناهج مختلفة في فهم العقيدة، ومن بينها مذهب الشيعة الإمامية، الذي يتميز بمنهجه الخاص في تفسير النصوص الشرعية، والذي يعتمد بشكل كبير على المنهج اللغوي، بالإضافة إلى الرجوع إلى أقوال أهل البيت (عليهم السلام) باعتبارهم المرجع الأصيل في فهم الدين.

أهمية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على أهمية المنهج اللغوي في فهم العقيدة الإسلامية، وتحديداً في مذهب الشيعة الإمامية، وذلك من خلال تحليل تطبيقات هذا المنهج في فهم بعض القضايا العقائدية الأساسية. وتكمن أهمية هذه الدراسة في:

- **إبراز دور اللغة العربية:** التأكيد على أهمية اللغة العربية في فهم العقيدة الإسلامية، وبيان كيف يمكن للأدوات اللغوية أن تساهم في استنباط المعاني الصحيحة من النصوص الشرعية.
- **فهم المذهب الشيعي:** تقديم فهم أعمق لمنهج الشيعة الإمامية في فهم العقيدة، وكيف يعتمدون على المنهج اللغوي في تفسير النصوص الشرعية.
- **إثراء البحث العلمي:** إضافة لبنة جديدة إلى البحث العلمي في مجال الدراسات الإسلامية العقدية، وفتح آفاق جديدة للباحثين لدراسة العلاقة بين اللغة والعقيدة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحديد مفهوم المنهج اللغوي وأهميته في فهم العقيدة الإسلامية.
2. استعراض أبرز ملامح المنهج اللغوي عند الشيعة الإمامية.
3. تحليل تطبيقات المنهج اللغوي في فهم بعض القضايا العقائدية الأساسية في مذهب الشيعة الإمامية (مع ذكر أمثلة محددة).
4. تقييم أثر المنهج اللغوي في تشكيل التصور العقدي عند الشيعة الإمامية.

الدراسات السابقة

تناول بعض الباحثين والكُتاب موضوع مناهج الاستدلال الكلامية بشكل عام كنظرات في مناهج الفرق الكلامية لمؤلفه عادل نصر حيث خص بحثه بنقد منهج الأشاعرة في ضوء الكتاب والسنة. ولم يتعرض لمناهج الفرق الكلامية الأخرى ونقدها. وكذلك أصول الاجتهاد الكلامي (دراسة في المناهج) للشيخ أحمد حسين الخشن، تعرض فيه إلى المناهج الكلامية مبيناً ثغراته، مقدماً مقترحات جديدة ولكن لم يقدم دراسة مقارنة ونقدية لمناهج الاستدلال عند الفريقين.

وكذلك المنهج الكلامى ملامحه وآثاره على مناهج التعليم الديني المعاصر في العالم الإسلامي للدكتور سهل بن رفاع العتيبي، حيث درس فيه المنهج الكلامي وأثره في التعليم الديني فقط، بعيداً عن المقارنة وأسباب الاختلاف العقدي عند المتكلمين من الإمامية والأشاعرة وكما من النقد على المناهج الاستدلالية عند الفريقين.

وهناك من تعرض إلى مناهج الاستدلال في ضوء علم خاص كما فعل الشيخ على الرباني فإنه ألف كتاباً وسماه مناهج الاستدلال ولكنه خصه بالبحث عن الاستدلال والبرهنة في ضوء علم المنطق ولم يتطرق إلى المناهج الكلامية عند الفريقين.

وكذلك ألف الدكتور أيمن المصري كتابا تحت عنوان أصول المعرفة والمنهج العقلي، حيث تناول فيه مناهج الاستدلال بشكل عام والمنهج العقلي وحجيته وعلاقته بالمناهج الأخرى بشكل خاص، ولكنه لم يتعرض إلى مناهج الاستدلال الكلامي عند المذاهب الإسلامية ولاسيما عند الإمامية والأشاعرة كما نهدف دراسته في هذه الرسالة.

فالدراسات السابقة قبل علماء الإمامية والأشاعرة وباحثيهم تدور حول المناهج الكلامية وبيانها أو مناهج الاستدلال بشكل عام وبدون تحديد في علم خاص ولم تتعرض لما يهدف إليه عنواننا الحالي؛ فهو يتميز بدارسة المناهج الكلامية بين الشيعة الإمامية والأشاعرة بدراسة مقارنة وتطبيقية ونقدية، مبرزاً نقاط الاختلاف والاشتراك بينهما، مبيناً أسباب الاختلاف وتحليلها ونقدها؛ أي أنها تعتمد على بيان المناهج الكلامية عند الفريقين ثم تقدم الشواهد والتطبيقات من القرآن الكريم والسنة الشريفة وتقوم بتحليلها وتبين نتائجها وكذلك تنقد مناهج الأشاعرة فيما تخالف العقيدة الصحيحة وتؤدي إلى نتائج خطيرة كالتجسيم والتشبيه والإمكان والفقر، كما تتطرق إلى أسباب الاختلاف العقدي عند الفريقين وتحليلها ونقدها.

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي التطبيقي، حيث يتم تحليل النصوص الشرعية وأقوال العلماء والمفكرين في مذهب الشيعة الإمامية، وتطبيق الأدوات اللغوية عليها، بهدف

استنباط المعاني الصحيحة وتحديد أثر المنهج اللغوي في فهم العقيدة ورصد نتائجه.

1. تعريف المنهج لغة واصطلاحا

أ- المنهج لغة

المناهج جمعٌ مفرده منهج، على وزن مَفعَل، وهو في اللغة مأخوذ من كلمة (نَهَجَ) ينهج نهجا ونهوجا.[1] ويعني الطريق المستقيم الواضح البين وأنهج الطريق أي: استبان وصار نهجا واضحا بينا.

والمنهج والنهج والمنهاج بمعنى واحد ومنه قوله تعالى[2] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (48:5)

ب- المنهج اصطلاحاً

والمنهج في الاصطلاح له عدة تعريفات منها أنه "الطريق في التعبير عن شيء أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء، طبقا لمبادئ معنية، وبنظام معين، وبغية الوصول إلى غاية معينة.[3] و عرف أيضا بأنه "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"[4]

و حاصل التعريفين أن الإنسان يحتاج إلى طرق و وسائل مختلفة للتعبير عن الأمور العلمية و غير العلمية ليصل إلى الغاية التي يريدها، وتكون هذه الوسائل للتعبير عن الأمور العلمية خاصة و وفقا لمبادئ معينة وليست اعتباطية، ولذلك يعتمد علماء كل علم على طرق وسائل خاصة لإثبات مسائل ذاك العلم و الوصول إلى نتائج والغايات، أو للدفاع عنها. ويسمون هذه الطرق والوسائل في اصطلاحهم "المناهج".

وعلم الكلام أيضا يعتمد على الطرق والوسائل المعينة لإثبات المسائل العقدية و تقريرها والدفاع عنها. يعبر عنها المتكلمون بمناهج الاستدلال الكلامي.

فالمنهج في أصله اللغوي يدور حول الطريق والسبيل الواضح والمستقيم، وفي الاصطلاح هو مجموعة من القواعد يعتمد عليها الإنسان بغية الوصول إلى حقائق أو عقائد معينة، و هذه القواعد قد تكون عقلية و قد تكون بشكل نص و قد تكون مكاشفة لعارف لاكتشاف الواقع...الخ.

ثانيا: تعريف المنهج اللغوي

و هو منهج منسوب إلى اللغة ويعتمد على الأدوات والأساليب اللغوية في إثبات المسائل العقدية كالأساليب البيانية من المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها.[5] وقد استفادت الشيعة الإمامية من هذا المنهج في الصفات الخبرية كثيرا، فاتخذت المجاز اللغوي وسيلة لها في ذلك، فبالاعتماد عليه سلمت من معضلة التجسيم والتشبيه والتكييف كما سيأتي نموذج من تطبيقاته.

لا شك أن اللغة توجد حيث يوجد البشر، وأنها الوسيلة الأولى للتواصل والتفاهم والتخاطب،

وبث المشاعر والأحاسيس، وهي الركن الأول في عملية التفكير والمعرفة؛ وبها يمتاز البشر عن سائر الحيوانات، ولاسيما أن اللغة العربية لها ميزة خاصة؛ لأنها اختارها سبحانه وتعالى لكتابه العزيز، ولنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والوحي، والشريعة الإسلامية، وعبر عنها بلسان مبين، وذلك لما لها من السعة والعمق والإعراب، وأساليب البيان من الفصاحة والبلاغة والإبداع وغير ذلك مما لا يوجد في سائر اللغات الأخرى على هذه الدرجة، فهي أفضل اللغات وأوسعها فلابد من الاهتمام بها قدر المستطاع في جميع العلوم الشرعية منها علم الكلام.

لذلك أدخل بعض علماء الإمامية المنهج اللغوي كمنهج مستقل في الاستدلال العقدي وذكره في مؤلفاته كما فعل ذلك العلامة عبد الهادي الفضلي حيث تميز بعض كتبه الكلامية بالاهتمام بهذا المنهج (أصول البحث) و(دروس في أصول فقه الإمامية) وقد صرح به بعض المعاصرين.[6]

وقد تمسك علماء الإمامية بالمنهج اللغوي في إثبات المسائل العقدية واستنباطها من القرآن والسنة ولا سيما في باب الصفات الخبرية حيث اختلفت المذاهب الإسلامية فيها اختلافا كبيرا أدى في بعض الأحيان إلى التكفير والتجسيم والتكييف، فمن ابتعد عن المنهج اللغوي وقع في هذه المعضلة ومن تمسك به نجا منها كالشيعة الإمامية. وأبرز الطرق اللغوية المتمسكة بها في الخروج عن هذ المشكلة هو الأسلوب البياني المتمثل في المجاز اللغوي. وهي تمسكت به وطبقت في العقائد بينما الأخرى كأهل الحديث والأشاعرة رفضته ومنعت من التمسك به.

وفيما يلي بعض نماذج تطبيقية للمنهج اللغوي ويتم التركيز على الصفات الخبرية لكونها مورد اختلاف كبير بين المذاهب الكلامية ولما لها نتائج مهمة سلبا وإيجابا عند القول بالمنهج اللغوي ورفضه.

2. العقيدة لغة واصطلاحا

أ- العقيدة لغة

العقيدة في اللغة مأخوذة من مادة "عقد"، ولها معاني متعددة في اللغة، منها: عقد السائل أي غلُظ وجمُد بالتبريد أو التسخين، وعقد الحبل ونحوه، أي جعل فيه عقدة، وعقد طرفي الحبل ونحوه أي وصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكها فأحكم وصلهما، ومنه "اعتقد الشيء" أي اشتد وصلُب"[7] والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.

وجاء في مفرادات الراغب: "عقَد: الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد ونحوهما فيقال: عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه.....ومنه قيل لفلان عقيدة....والعقد مصدر استعمل اسما فجمع نحو﴿ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (5 : 1) والعقدة اسم لما يعقد من نكاح أو يمين أو

غيرهما...."[8] وفي المعجم الوجيز "اعتقد فلان الأمر: صدقه وعقد عليه قلبه وضميره".[9]

3ـ العقيدة اصطلاحاً

العقيدة في المصطلح الديني ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل، وعرفت العقيدة أيضا بأنها " الأمور التي يجب أن تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينا عند أصحابها، ولا يمازجها ريب ولا يخالطها شك"[10]

فالعقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأُصول الدين، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والأئمة المعصومين من ذريته وغير ذلك من الأمور.

ويطلق على العقيدة في المصطلح الديني كلمة "الإيمان" أيضا، وهي تعني الاعتقاد بما أمر الله تعالى به ورسوله وأوصياؤه صلوات الله عليهم، كما قال عز وجل في كتابه الكريم: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (2 : 285)، وقال في مقام آخر: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (2 : 177)

ويظهر من تتبع آيات القرآن الكريم، واستخدامه مصطلح الإيمان أن مصطلح العقيدة لم يستخدم في القرآن الكريم ولكن كلاهما يؤدي مفهوما واحدا في الشريعة الإسلامية، ومن المعلوم أن أمور الشريعة على نحوين، نحو يكفي فيه العلم والاعتقاد بالجزم بما أمره الله ورسوله وأوصياءه وأن يعقد المسلم قلبه وضميره عليه دون العمل، ونحو يتعلق بالتكليف، وهي التكاليف العملية من العبادات والمعاملات. والنحو الأول هو الذي يصطلح عليه بالعقيدة في الشريعة الإسلامية.

والحاصل أن العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثيق، والشد بقوة، والإثبات ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح. والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعث الرسل.[11]

4. تعريف موجز للشيعة الإمامية

عرف بعض الأعلام من الإمامية "بأن الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم – وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته."[12]

وقد وصف الشهرستاني الشيعة وعقائدهم وفرقهم وصفا موجزا بقوله: "الشيعة هم: الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته: نصاً ووصية؛ إما جلياً وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده؛ وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم؛ بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين؛ لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري: قولاً، وفعلاً، وعقداً؛ إلا في حال التقية."[13]

ويطلق على الشيعة الإمامية الاثني عشرية أيضا المذهب الإمامي والمذهب الجعفري، وكلاهما يرجع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأما تسميته بالمذهب الإمامي فلانتمائه في العقائد والأحكام والمعارف الإسلامية بشكل عام إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويسمى أتباعهم الإمامية، وأما المذهب الجعفري فنسبة إلى الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ وذلك لدوره البارز في نشر علوم أهل البيت؛ لأنه (عليه السلام) وجد الفرصة المناسبة لذلك ما لم يجدها الأئمة الآخرون في عصرهم للظروف الصعبة. ويطلق على هذا المذهب أيضا الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في مقابل الزيدية والإسماعلية؛ لأنه يطلق عليهما أيضا الشيعة الإمامية لاعتقادهم بعدد معين من الأئمة عليهم السلام، فقيد (الاثنا عشرية) يميزه عن هذين المذهبين.[14]

فالشيعة الإمامية هم الذين يحبون ويوالون الإمام عليا وأولاده صلواة الله عليهم أجمعين باعتبارهم أهل بيت النبيّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، الّذين فرض الله سبحانه مودتهم ومحبتهم، قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (42 : 23)

وهم يعتقدون بإمامة الأئمة الاثني عشر بعد النبي؛ أولهم علي بن أبي طالب عليهما السلام وآخرهم محمد القائم المنتظر المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من ذرية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، ويعتقدون بذلك لكونهم منصوصين من الله، متصفين بالعصمة

والأعلمية. ويفضّلون عليّاً عليه السلام على الخلفاء عامّة لاستفاضة مناقبه وفضائله عن الرسول الأعظم، والّتي دوّنها أصحاب الحديث في صحاحهم ومسانيدهم. ويشايعونه وأولاده عليهم السلام باعتبار أنّهم خلفاء الرسول وأئمة الناس بعده، نَصَبهم لهذا المقام بالنص الشرعي، وذكر أسماءهم وخصوصيَّاتهم، كما في الرواية التي تصدّى فيها النبي الأكرم (ص) لذكر أسماء الأئمة جميعا وألقابهم وهي المعروفة بحديث اللوح الذي أشار فيه النبيّ (ص) الى أسمائهم وألقابهم عليهم السلام مع بعض التوصيفات الخاصة.

والحديث منقول عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: "لما أسري بي أوحى إلي ربي جل جلاله وساق الحديث إلى أن قال: فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار على، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي ابن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجة بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري. قلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي وهو راحة لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما، فلفتنة الناس بهما يومئذ أشد من فتنة العجل والسامري." [15]

ونقل هذا الحديث كبار العلماء من الإمامية في كتبهم، كالشيخ الصدوق والخزاز القمي والشيخ الطوسي والعلامة المجلسي وغيرهم.

وإن القندوزي الحنفي عقد في كتابه ينابيع المودة باباً بعنوان «الباب السادس والسبعون في بيان الأئمّة الاثنى عشر بأسمائهم» وروى فيه ثلاث روايات فيها أسماء الأئمّة عليهم السلام على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن بين هذه الثلاثة: "عن ابن عبّاس: قال سمعت رسول الله (ص) يقول: "أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون. أيضا أخرجه الحمويني."[16]

فالشيعة الشيعة الإمامية بهذا المعنى (الاثنا عشرية) هو المبحوث عنه في المقام وإن كانت هناك فرق عديدة يطلق عليها الإمامية كالزيدية وغيرها. كما كانت لكل مذهب من المذاهب الإسلامية المعروفة فرق مختلفة، كفرق أهل السنة والجماعة (أهل الحديث) وفرق الأشاعرة وفرق المعتزلة.

5ـ دراسة وتحليل للمنهج اللغوي عند الشيعة الإمامية

إن استخدام المنهج اللغوي لتقرير المسائل العقدية ليس بأمر جديد، بل هو قديم ومتناثر في

كتب اللغة من النحو، والبلاغة، ومعاني القرآن، وكتب التفسير، والقراءات وغيرها، وقد تمسك العلماء القدامى به لنصرة العقائد، فألفوا في هذا المجال مؤلفات عديدة وأكثروا فيها الاستشهاد به للمسائل العقدية ويقال بأن للمعتزلة حظا وافرا في استخدامه لتقرير العقائد، ثم تلها الأشاعرة، وأدل دليل على تراث المعتزلة في هذا المجال كتب أبي على الفارسي، والرماني، وابن جني، والزمخشري وغيرهم. ومن المعلوم أن هؤلاء العلماء كلهم من أفذاذ علوم اللغة وآدابها.[17]

وتقدم آنفا أن اللغة العربية لها ميزة خاصة وأهمية بالغة تمتاز بها عن سائر اللغات، وأن لها من السعة والعمق والإعراب وأسلوب البيان من الفصاحة والبلاغة والإبداع وغير ذلك من السنن حظا ليس لغيرها. وهي لغة القرآن الكريم، ولغة الدين المبين، والحديث الشريف. لذلك كان من الأهمية ضبط وجوه العربية، ومعرفة أصولها وقواعدها؛ لفهم الكتاب والسنة على الوجه المطلوب شرعا؛ إذ يؤدي الجهل بها إلى تحريف دلالات ألفاظ الكتاب والسنة، وحمل معانيها على غير مراد الله تعالى، مما يؤدي إلى الاعتقاد الباطل والمهالك.[18]

وعلى أساس ذلك حرص العلماء على حفظها، وضبط قواعدها وأسسها، فاهتموا بها اهتماما بالغا في جميع العصور، ولاسيما في العصور المتقدمة، فإن العلماء القدامى بذلوا قصارى جهودهم في مجال اللغة من جميع الجهات؛[19]لما لها دور بارز وعلاقة وثيقة بجميع العلوم الإسلامية كعلم الحديث والعلوم القرآنية، وعلمي الفقه والأصول، وعلم الفلسفة، وعلم الكلام وغير ذلك من العلوم؛ لذلك اهتم بها العلماء من القدامى والمحدثين اهتماما بالغا، وكذلك لها أثر كبير في تقرير المسائل الفقهية والعقدية؛ لأنها من أهم الوسائل والأدوات التي تثبت وتقرر هذه المسائل. ودلالات الألفاظ تمثل دورا كبيرا في اختلاف المعاني والمفاهيم، لذلك قد يعطي لفظ واحد معنى في مقام ومعنى آخر مخالفا له في مقام آخر، فلأجل هذا تختلف الآراء والأقوال والمذاهب في مسألة واحدة كما نلاحظ ذلك في كلمتي "العرش" و"الكرسي" – مثلا كما تقدم-

قد وقع الاختلاف فيهما بين المتكلمين من حيث تحديد دلالتهما على المعنى بالنسبة إلى سبحانه تعالى، فأخذ أهل السنة والجماعة بما تفهمه العرب من لغاتها بالحمل على الظاهر، فقالوا أن العرش عبارة عن سرير المَلِك، والكرسي عبارة عن الشيء الذي يعتمد عليه، وقد ثبت ولزم بعضه بعضا، وهو موضع القدمين، وذهبت الفلاسفة وبعض المتكلمين إلى أن المراد من العرش هو الفلك التاسع المحيط بالعالم من جميع جوانبه، وهو فلك الأفلاك. وذهب غيرهم من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والإمامية إلى أن العرش كناية عن الملك واستيلائه تعالى عليه في الدنيا والآخرة وتدبيره من استعانة بأحد. والحال أن كل

هذه المذاهب استشهدت لمواقفها بكلام العرب، واستعانت باللغة شعرا ونثرا لإثبات المعنى المراد من كلمة العرش بالنسبة إلى الله تعالى.

وهذا كله يدل على أثر اللغة ودورها في تقرير المسائل العقدية، ولذلك؛ الجهل باللغة العربية قد يؤدي إلى الانحراف كما قال الأصمعي: " تزندق هؤلاء القوم لجهلهم باللغة العربية، ولو كانوا مطلعين على خفايا اللغة لفهموا حقيقة القرآن والحديث، ولما اعتراهم الشك في الدين".[20]

فمن هنا تمسك متكلمو الشيعة الإمامية بالمنهج اللغوي في تقرير المسائل العقدية ولا سيما في باب الصفات الخبرية واعتمدوا على الأسلوب البلاغي المهم (المجاز اللغوي) في أخذ المعنى المتناسب بذاته تعالى حتى لا يقع المسلمون في معضلة التجسيم والتشبيه والتكييف وغيرها ولكن الذين تركوا ذاك الأسلوب وراء ظهورهم وقعوا في التجسيم والتشبيه.

ومن هؤلاء المتكلمين الشيعة -مثلا- السيد الشريف الرضي وهو من كبار الشيعة الإمامية، الذي كتب كتابين مستقلين عن المجاز في القرآن والسنة، وهما "تلخيص البيان في مجازات القرآن" و"المجازات النبوية" وهما من أقدم المؤلفات في هذا المجال وتعرض فيهما إلى المسائل العقدية في آيات الصفات الخبرية. ومنهم السيد المرتضى في "غرر الفوائد ودرر القلائد"، ومنهم الشيخ المفيد في "تصحيح اعتقادات الإمامية" وابن الحسن الطبرسي صاحب تفسير "مجمع البيان". وفخر الدين الطريحي في "مجمع البحرين"، وكذلك حذا حذوهم الشيخ جعفر السبحاني من المعاصرين في كتابه "العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة آل البيت وغيرهم". وقد ذكرنا الإحالة لكتبهم ضمن النماذج التطبيقية ولا يتسع المجال لذكر الشواهد لجميع هؤلاء العلماء من مؤلفاتهم.

6ـ قيمة المنهج اللغوي

والآن نريد أن نذكر قيمة المنهج اللغوي على لسان كبار علماء اللغة في تقرير المسائل العقدية، والفضل للذكر من بينهم للعالم اللغوي أبي الفتح عثمان ابن جني، وذلك لمكانته وموقعه في علوم اللغة إضافة إلى تعرضه للمسائل العقدية ضمن المسائل اللغوية، فإليك الشاهد على ذلك:

لقد عقد ابن جني بابا مستقلا في كتابه " الخصائص" وسماه " باب ما يؤمنه علمُ العربية من الاعتقادات الدينية"، وقام فيه بتأويل الصفات الإلهية الخبرية، وحملها على المجاز، أو التشبيه، أو الاستعارة، وطعن فيمن أثبتها، ووصفهم بالجهل، وعيرهم بالتشبيه. وقد فصل القول في هذا السياق مبتدئا ببيان شرف هذا الباب وفضله، منتهيا إلى بيان عقيدته في الصفات الإلهية وأسمائه، ولنأخذ بعض القطعات من نصه دليلا وشاهدا على ما ذكرنا.

يقول ابن جني في فضل هذا الباب وشرفه وأصل اعتقاد التشبيه لله تعالى:" اعلم أن هذا

الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية، لا وراءه من نهاية؛ وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه (واستخف حلمه) ضعفه في اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب بالكافة بها، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيها وأحنائها"[21]

وهو يتعرض إلى آيات الصفات ويرى أن من وقع في مشكلة التشبيه والتجسيم إنما كان لأجل ضعفه في اللغة كما يقول عند بيان معنى آية الساق: "حتى ذهب بعض هؤلاء الجهال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (68 : 42) أنها ساق ربهم –نعوذ بالله من ضعفة النظر، فساد المعتبر- ولم يشكوا أن هذه أعضاء له، وإذا كانت أعضاء كان هو لا محالة جسما معضى؛ على ما يشاهدون من خلقه، عز وجهه، وعلا قدره، وانحطت سوامى (الأقدار) والأفكار دونه. ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة أو تصرف فيها، أو مزاولة لها، لحمتهم السعادة بها، ما أصارتهم الشقوة إليه، بالبعد"[22]

وبإمعان النظر في كلامه يفهم أنه ذكر الصفات الخبرية لله تعالى ضمن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، مثل الجنب، والوجه، واليد، والعين، واليمين، والصورة، والساق، ورد على المشبه والمجسمة واصفا إياهم بالجهل باللغة العربية، وضعفة النظر، وفساد المعتبر، والبعد عن الاستخدامات اللغوية كالحقيقة والمجاز، وهذا هو أساس الوقوع في الشبهات العقائدية.

ويرى في صفة اليد في قوله تعالى ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ (71:36) أن معناها -بالنسبة إلى سبحانه تعالى- إلى أن نسبة اليد إليه تعالى إما لأجل الاستعمال العرفي حيث يجري أكثر الأعمال باليد، فيكون ذلك من باب الاستعارة، وإما أنها بمعنى القدرة والقوة؛ لأن الأفعال تنسب إليها، كما ينسب القطع إلى السيف. فالمراد من اليد ليس اليد الجارحة في قوله تعالى بل هي بمعنى القدرة والقوة۔ [23]

ومن قال في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (68 : 42) بالساق كساق المخلوق، أي الجارحة وصفه بالجاهل والشقي، وقال في تأويل الساق هنا: "وإنما الساق هنا يراد بها شدة الأمر، كقولهم: قد قامت الحرب على ساق. ولسنا ندفع مع ذلك أن الساق إذا أريدت بها الشدة فإنما هي مشبهة بالساق هذه التي تعلق القدم، وأنه إنما قيل ذلك؛ لأن الساق هي الحاملة للجملة، والمنهضة لها، فذكرت هنا لذلك تشبيها وتشنيعا، فأما أن تكون للقديم-تعالى- جارحة: ساق أو غيرها، فنعوذ بالله من اعتقاده، أو الاجتياز بطواره..."[24]

ولا يختلف المذهب الإمامي فيما قدمه ابن جني حول أثر اللغة والمنهج اللغوي في تقرير المسائل العقائدية، لقد تمسك علماء الإمامية به في مجال العقيدة، وبالأخص فيما يتعلق بالصفات الخبرية حيث تفرقت الفرق الإسلامية، وتشعبت آراؤهم وأقوالهم، ومذاهبهم، وكل

ذلك لأجل اختلاف مواقفهم في اللغة من حيث أخذها حقيقة ومجازا في صفات الله تعالى وقد سلمت عقيدة الشيعة الإمامية من التجسيم والتشبيه في الصفات الخبرية بالاعتماد على المنهج اللغوي المؤيد للقواعد العقلية في هذا الباب.

ولكن لم يكن هذا المنهج منهجا مستقلا في الاستدلال في أوساط المتكلمين القدامى مع التمسك به عمليا كما أشرنا إلى بعض النماذج ككتب السيد الرضي والسيد المرتضى، وقد أدخله بعض علماء الإمامية كمنهج مستقل في الاستدلال العقدي وذكره في مؤلفاته كما فعل ذلك العلامة عبد الهادي الفضلي والأمر يحتاج إلى دراسة مفصلة تشتمل على أهميته وأثره في المسائل العقدية ونماذج تطبيقية.

7ـ المنهج الخاص اللغوى عند الامامية: المجاز اللغوى

أشرنا إلى بعض الأساليب اللغوية البيانية كالمجاز والتشبيه والكناية وغيرها التي هي أبرز المصاديق المهمة للمنهج اللغوي في المسائل العقدية من الإثبات والاستنباط ونحن نأخذ من بينها أسلوبا واحدا لتطبيق هذا المنهج في العقدية الإسلامية عند الشيعة الإمامية، وهو المجاز اللغوي من الأساليب البيانية.

وقد عرف علماء اللغة المجاز اللغوي بأنه "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي".[25] وعُرِف أيضا بأنه " الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في اصطلاح به التخاطب، على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته".[26] ثم ينقسم المجاز اللغوي إلى تقسيمات عدة من جهات مختلفة منها المجاز المرسل أو الاستعارة ، والمجاز غير المرسل وأما المجاز غير المرسل فتكون فيه العلاقة بين المعنيين علاقة المشابهة كقوله تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (2: 257) حيث شبه "الهدى" بـ"النور"، و"الضلالة" بـ"الظلمات"، ثم حذف المشبه (الهدى والضلالة) وأبقى المشبه به (النور والظلمات) من طرفي التشبيه، واستعار معنى المشبه به لمعنى المشبه؛ لوضوح صورة المعنى المقصود، لكونه (المشبه به) محسوسا، والمشبه معقولا.[27]

وأما المجاز المرسل فتكون فيه العلاقة بين المعنيين علاقة غير المشابهة، كاليد إذا استعملت في النعمة، من حيث أنها تصدر من الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها.[28]

8ـ تطبيقات المنهج اللغوي عند الشيعة الإمامية

من تطبيقاته في المسائل العقدية عند الشيعة الإمامية ما تمسكت به في الصفات الخبرية في

الآيات الآتية:

ا- ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (55 : 27)

هنا تمسك القرآن الكريم بالمنهج اللغوي المتمثل في المجاز اللغوي حيث عبر عن الصفة السرمدية لله تعالى ببقاء الوجه، وهو يعني بقاء ذاته تعالى وحقيقته، وهذه استعارة؛ لأنه لا معنى لبقاء الوجه دون الذات والحقيقة، كما صرح به الشريف الرضي قائلا بأنه: "لو كان الكلام محمولا على ظاهره لكان فاسدا مستحيلا على قولنا وقول المخالفين؛ لأنه لا أحد يقول من المشبّهة والمجسّمة، الذين يثبتون للّه سبحانه أبعاضا مؤلفة، وأعضاء مصرّفة إنّ وجه اللّه سبحانه يبقى، وسائره يبطل ويفنى. تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا. ومن الدليل على أن المراد بوجه اللّه هاهنا ذات اللّه قوله سبحانه : ﴿ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾ ألا ترى أنه سبحانه لما قال في خاتمة هذه السورة : ﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ قال: ﴿ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾ ولم يقل (ذو) لأن اسم اللّه غير اللّه، ووجه اللّه هو اللّه، وهذا واضح البيان."[29]

ب- ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (10 : 3)

هذه الآية من الآيات التي كثر فيها الاختلاف بين المذاهب الإسلامية من حيث حملها على المعنى اللغوي الحقيقي فيثبت العرش الحقيقي ومن حيث حملها على المعنى المجازي فيكون له معنى آخر يتناسب مع ذاته تعالى، والثاني ذهب إليه الشيعة الإمامية دون الأول، فقالوا أن استواء الله تعالى على العرش استعارة؛ لأن حقيقة الاستواء إنما يوصف بها الأجسام التي تعلو البساط وتميل وتعتدل والله منزه عن هذه الأمور؛ لأنها يلزم منها التجسيم، فيكون المراد منه هاهنا: الاستيلاء بالقدرة والسلطان، لا بحلول القرار والمكان. وهذا ذهب إليه متكلمو الشيعة الإمامية والشريف الرضي فصل فيه الكلام لغويا بأنه يقال: "استوى فلان الملك على سرير ملكه، بمعنى استولى على تدبير الملك...وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد عليه، ولا مكان عال يشار إليه. وإنما المراد نفاذ أمره في مملكته، واستيلاء سلطانه على رعيته."[30]

ج- ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (38 : 75)

أثبتت مجموعة من الفرق الكلامية اليد الجارحة لله تعالى بناء على هذه الآية حيث نسب سبحانه خلق المخلوق إلى يده فحملتها على المعنى اللغوي الحقيقي، بينما تمسكت الشيعة الإمامية بالمجاز اللغوي وخالفت القائلين بالمعنى الحقيقي. وذكر متكلمو الإمامية عدة وجوه في المقام لإثبات المعنى المجازي لليد ونفي عقيدة من ذهب إلى العضو الجارح له تعالى.ومنهم السيد المرتضى وذكر فيها عدة وجوه منها:

أوّلها: أن يكون قوله تعالى:﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ جاريا مجرى قوله: (لما خلقت أنا)، وهذا مشهور في لغة العرب، كما يقولون: هذا ما كسبت يداك؛ وما جرّت عليك يداك؛ وإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضّرب من الكلام فيقولون: فلان لا تمشي قدمه، ولا ينطق لسانه، ولا تكتب يده؛ وكذلك في الإثبات، ولا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة؛ بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل.

وثانيها: أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة، ولا إشكال في أن أحد محتملات لفظة اليد النعمة.....

وثالثها: أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة؛ وذلك أيضا من محتملات اللفظة؛ كما يقول القائل: ما لي بهذا الأمر يد ولا يدان، وما يجري مجرى ذلك؛ والمعنى: أنني لا أقدر عليه ولا أطيقه... فكأنه تعالى قال: ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه؛ فعبّر عن كونه قادرا بلفظ اليد الّذي هو عبارة عن القدرة؛ وكلّ ذلك واضح في تأويل الآية."[31]

ومحصل كلام السيد المرتضى أن اليد في الآية تحتمل وجوها ثلاثة، ليس من بينها وجه يحمل على معناها الحقيقي، أي الجارحة، وأيد كلامه بشواهد من كلام العرب. ويعني ذلك أي السيد المرتضى أنكر أن يحمل لفظ اليد على المعنى اللغوي وحمله على المعنى المجازي حسب المقام والسياق.

وذكر الشيخ الطبرسي خمسة أوجه لمعنى اليد في اللغة عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (5 : 64) وهي الجارحة والقوة والنعمة والملك وتحقيق إضافة الفعل، واستشهد لهذه الوجوه من الآيات القرآنية وكلام العرب شعرا ونثرا، ولكن لم يحمل اليد على الجارحة في أي موضع من المواضع التي ذكرها ذيل هذه الآية. ورأى أن هذه التثنية للمبالغة في نفي الاقتدار والقوة على الشيء واستمر في حديثه قائلا: "وقد تستعار اليد في مواضع كثيرة يطول ذكرها، ولما كان الجواد ينفق باليد والبخيل يمسك باليد عن الإنفاق أضافوا الجود والبخل إلى اليد فقالوا للجواد: مبسوط اليد وسبط البيان، فياض الكف، وللبخيل كز الأصابع، مقبوض الكف جعل الأنامل، في أشباهها في أشياء لهذا كثيرة معروفة في أشعارهم....."[32]

وذهب الطبرسي في وجه صيغة التثنية لليد في الآية، معتمدا على كلام علماء اللغة كأبي علي الفارسي، إلى أنهم قد استجازوا ثنية الجمع التي بني للكثرة فأن تجوز تثنية اسم الجنس أجدر؛ لأنه على لفظ الواحد، فالتثنية فيه أحسن، إذ هو أشبه بألفاظ الإفراد.[33]

د- ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (11 : 37)

يتضح من كلام متكلمي الإمامية أنهم اعتمدوا على المجاز اللغوي في بيان معنى (العين)، ولم

يحملوها على معناها اللغوي وهو العين الجارحة، بل حملوها على المعنى المجازي له، وهو الأمر، أي اصنع الفلك بأمرنا، ونحن نرعاك ونحفظك. وهذا استعارة، أي ليس هناك عين تلحظ، ولا لسان يلفظ. وذلك كما يقول القائل: أنا بعين اللّه. أي بمكان من حفظ اللّه. ومن كلامهم للظّاعن المشيّع والحميم المودّع: صحبتك عين اللّه. أي رعاية اللّه وحفظه.[34]

فلو أُخذ بالمعنى اللغوي الحقيقي لها دون المجازي لأدى ذلك إلى الوقوع في التجسيم والتشبيه. وذلك يستحيل على الله تعالى.

هـ. ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (68 : 42)

تمسك الشيخ المفيد في معنى (الساق) بالنسبة إلى الله تعالى بالمنهج اللغوي، وذهب إلى أن معناه هنا: وجه الأمر وشدته يوم القيامة، لا الساق الحقيقي من جوارح الإنسان، واستشهد لذلك بكلام العرب شعرا ونثرا، فقال بعد بيان المعنى: "ولذلك قالت العرب فيما عبرت به عن شدة الحرب وصعوبتها: قامت الحرب على ساق، وقامت الحرب بنا على ساق. وقال شاعرهم أيضا وهو سعد بن خالد:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح
وبدت عقاب الموت يخفق تحتها الأجل المتاح"[35]

وشدة الأمر يوم القيامة تكون بظهور السرائر وانكشاف البواطن أمام الملأ، والثواب والعقاب على الحسنات والسيئات، ولا شك أن هذا أمر صعب وعظيم جدا؛ لأنه الفزع الأكبر يوم القيامة؛ لذلك هذا التفسير اللغوي يتناسب لمعنى الساق في الآية؛ لتنزيه البارئ عز وجل من التشبيه والتجسيم.

فهذه نماذج موجزة من تطبيقات المنهج اللغوي عند الشيعة الإمامية واتضح من خلالها موقفها من الصفات الخبرية بين الحقيقة والمجاز، وقد حملت جميع هذه النماذج على الاستعارة التي تندرج تحت أنواع المجاز اللغوي. وهكذا الحال في سائر الصفات التي تؤدي إلى التجسيم والتشبيه إذا حملت على المعنى الحقيقي. فتبنت مثل هذا الموقف في جميع النصوص الشرعية التي توهم التشبيه والتجسيم لله تعالى. وحملتها على المعاني المجازية.

النتيجة

1- اهتم متكلموا الإمامية بالمنهج اللغوي اهتمامًا بالغًا في الاستدلال على إثبات المسائل العقدية والدفاع عنها كما فعلوا في الصفات الخبرية. وأبرز هؤلاء المتكلمين الشيعة :

-**الشريف الرضي**، الذي يعتبر من أوائل من اهتموا بالدراسات اللغوية والبلاغية في

القرآن والسنة، وكتاباه "تلخيص البيان في مجازات القرآن" و"المجازات النبوية" شاهدان على ذلك.

-**السيد المرتضى**، كان له دور كبير في تأسيس علم أصول الفقه، واعتمد على المنهج اللغوي في استنباط الأحكام الشرعية. كتابه "غرر الفوائد ودرر القلائد" يوضح منهجه اللغوي في الاستدلال.

-**الشيخ المفيد** (رضي الله عنه) :من كبار علماء الكلام في عصره، وله مساهمات كبيرة في الدفاع عن العقيدة الشيعية. كتابه "تصحيح اعتقادات الإمامية" يعكس اهتمامه بالمنهج اللغوي في فهم النصوص الدينية.

-**الطبرسي** صاحب تفسير "مجمع البيان"، وهو من أهم التفاسير الشيعية التي تعتمد على المنهج اللغوي في شرح معاني القرآن الكريم.

-**الطريحي** صاحب "مجمع البحرين"، وهو معجم لغوي يوضح معاني الكلمات والألفاظ المستخدمة في القرآن والسنة، ويعتبر مرجعًا هامًا للباحثين في الدراسات الإسلامية.

-**الشيخ جعفر السبحاني** من العلماء المعاصرين الذين اهتموا بالمنهج اللغوي في دراسة العقيدة الإسلامية، وكتابه "العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت" يوضح ذلك.

2- أن مفهوم المنهج اللغوي في اللغة والاصطلاح لا يختلف عند الإمامية هو المنهج المنسوب إلى اللغة ويعتمد على الأدوات والأساليب اللغوية في إثبات المسائل العقدية كالأساليب البيانية من الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها. ولا توجد تفاصيل كثيرة حول هذا المنهج عند متكلمي الإمامية، ولكن تمسكوا به عمليا كمنهج استدلالي كلامي وأثبتوا من خلاله مجموعة من أهم المسائل العقدية.

3- أهم المسائل التي تمسك فيها الإمامية بالمنهج اللغوي هي الصفات الخبرية.

4- من أهم النتائج التي نتجت عن الاعتماد على المنهج اللغوي عند الإمامية هي سلامتها عن الوقوع في معضلة التجسيم والتشبيه والتكييف وإثبات المكان والجهة والتحيز له تعالى.

*****

References

1. Ibn Manzur, *Lisan al-'Arab*, Vol. 32 , Tahqiq: 'Abd Allah 'Ali al-Kabir, wa Muhammad Ahmad Hasab Allah, wa Hashim Muhammad al-Shadhili, (al-Qahira, al-Nashir: Dar al-Ma'arif, nd), 4555.

ابن منظور، *لسان العرب*، ج32، تحقيق: عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة، الناشر: دار المعارف، لا سنة)، 4555۔

2. Al-Jawhari, *Al-Sahah fi Taj Al-Lugha wa-Sahih Al-Arabiyyah*, Tahqiq: Ahmad 'Abd al-Ghafur 'Attar, (Beirut, Dar al-'Ilm lil-Malayeen, 1376 SH),), 346; Jamil Saliba, *Al-Mu'jam Al-Faslifi*, Vol. 2, (Beirut, Dar al-Kitab al-Lubnani, 1982), 435.

الجوهري، *الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، 1376 ق)، 346؛ جميل صليبا، *المعجم الفلسفي*، ج2، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982م)، 435۔

3. Murad Wahba, al-Muejam al-Falsafi, Al-Tab'ah 5, (al-Qahira, Dar Quba' al-Haditha, 2007 AD,), 628.

مراد وهبة، *المعجم الفلسفي*، ط5، (القاهرة، دار قباء الحديثة، 2007م)، 628۔

4. Suhayl ibn Rafa, al-Otaibi, *al-Manhaj al-kalami Malamihuh wa Asaruh*, (al-Riyaz, Jami'at al-Malik Sa'ud, nd.), 3.

سهيل بن رفاع، العتيبي، *المنهج الكلامي ملامحه وآثاره*، (الرياض، جامعة ملك سعود، بلا تفاصيل النشر، لا سنة)، 3۔

5. Abdul Hadi, Al-Fadhli, *khulasat eilm alkalami*, Al-Tab'ah 3, (Qom, Mu'assasat Da'irat al-Fiqh al-Islami Tibqan li-Madhhab Ahl al-Bayt 'Alayhim al-Salam, 1428 AH), 12.

عبد الهادي، الفضلي، *خلاصة علم الكلام*، ط3، (قم، مؤسسة دائرة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، 1428 ق.)، 12

6. Ibid.

أيضًا۔

7. Al-Khalil ibn Ahmad, Al-Farahidi, *Kitab al-Ayn*, Vol. 3, Tahqiq: Al-Duktur 'Abd al-Hamid Hindawi, (Beirut, Manshurat Muhammad 'Ali Baydun, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2003), 196-197; Ibn Manzur, *Lisan al-'Arab*, 3030-3032; A select group of linguists, *Al-Mu'jam al-Wasit*,

Majma' al-Lughah al-'Arabiyah, Al-Tab'ah 4, (Misr, Maktabat al-Shuruq al-Duwaliyah, 2004), 613-614.

الخليل بن أحمد، الفراهيدي، *كتاب العين*، ج3، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، (بيروت، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، 2003م)، 196-197؛ ابن منظور، *لسان العرب*، 3030-3032؛ نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الوسيط*، (مصر، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.)، 613-614۔

8. Al-Hussain bin Muhammad, *Al-Raghib Al-Isfahani*, *Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an*, Tahqiq: Al-Syed Muhammad Kilani, (Beirut, Dar Al-Ma'rifah, nd), 143.

الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: السيد محمد كيلاني، (بيروت، دار المعرفة، لا سنة)، 341۔

9. A select group of linguists, *Al-Mu'jam al-Wasit*, *Majma' al-Lughah al-'Arabiyah*, 613-614.

نخبة من اللغويين، *المعجم الوسيط*، *مجمع اللغة العربية*، 613-614۔

10. Ibid.

ایضاً۔

11. A select group of linguists, *Majma' al-Lughah al-'Arabiyah*, *al-Mu'jam al-Wajiz*, (Misr, np., 1980), 427-426.

نخبة من اللغويين، *المعجم الوجيز*، *مجمع اللغة العربية*، (مصر، لا ناشر، 1980م)، 426-427۔

12. Sa'd ibn 'Abd Allah, Al-Qami, *al-Maqalat wa al-Firaq*, Al-Tab'ah 2, (Tehran, Markaz-e Entesharat-e 'Ilmi va Farhangi, 1360 SH), 3, 154.

سعد بن عبد الله، القمي، *المقالات والفرق*، ط2، (تهران، مركز انتشارات علمي وفرهنگی، 1360 ش)،3 و 154۔

13. Muhammad ibn Abi Bakr, al-Shahrastani, *al-Milal wa al-Nihal*, Tahqiq: 'Abd al-'Aziz Muhammad al-Wakil, Vol. 1, (al-Qahira, Mu'assasat al-Halabi wa Shurakah, 1968), 146.

محمد بن أبي بكر، الشهرستاني، *الملل والنحل*، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، ج1، (القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركائه، 1968م)، 146۔

14. Abd al-Hadi al-Fadli, *Madhhab al-Imamiyyah*, (nc., Markaz al-Ghadir lil-Dirasat al-Islamiyah. nd) 7.

عبد الهادي، الفضلي، *مذهب الإمامية*، (شهر ندارد، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، لا سنة)، 7۔

15. Al-Shaikh al-Saduq, '*Uyun Akhbar al-Raza*, Tahqiq: Al-Shaikh Hussain al-A'lami, Vol.2, (Beirut, Mu'assasat al-A'lami lil-Matbu'atLubnan, 1404 AH), 61; Al-Shaikh al-Saduq, *Kamal al-Din wa Itmam al-Ni'mah*, Tahqiq: 'Ali Akbar al-Ghaffari, (Qom, Mu'assasat al-Nashr al-Islami al-Tabi'ah li-Jama'at al-Mudarrisin bi-Qum al-Musharrafah, 1405 AH), 253;

Al-Khazzaz al-Qummi, *Kifayat al-Athar*, Tahqiq: al-Syed 'Abd al-Latif al-Husaini al-Kuhkamari al-Khu'i, (Qom., Intisharat-e Bidar, 1401 AH), 153; Al-Shaikh al-Tusi, *Al-Ghaybah*, Tahqiq: 'Abad Allah al-Tahrani, wa 'Ali Ahmad Nasih, Al-Tab'ah 3, (Qom, Mu'assasat al-Ma'arif al-Islamiyyah, 1425 AH), 149; Al-'Allamah al-Majlisi, Bihar al-Anwar, Tahqiq: Muhammad al-Baqir al-Behbudi, Yahya al-'Abidi al-Zanjani, al-Sayyid Kazim al-Musawi al-Mayamawi, Vol. 36, Al-Tab'ah 8, (Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 1403 AH), 245.

الشيخ الصدوق، *عيون أخبار الرضا*، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، ج2، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1404ق)، 61؛ الشيخ الصدوق، *كمال الدين وإتمام النعمة*، تحقيق: على أكبر الغفاري، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1405ق)، 253; الخزاز القمي، *كفاية الأثر*، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي،(قم، انتشارات بيدار، 1401 ق)، 153; الشيخ الطوسي، *الغيبة*، تحقيق: عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، ط3، (قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، 1425 ق)، 149; العلامة المجلسي، *بحار الأنوار*، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، يحيى العابدي الزنجاني، السيد كاظم الموسوي الميانموي، ج36، ط8، (بيروت، دار إحياء التراث العربي ، 1403 ق)، 245۔

16. Sulaiman ibn Ibrahim, al-Qunduzi, *Yanabi' al-Mawadda*, Tahqiq: Syed Ali Jamal Ashraf al-Husseini, Vol. 3, (nc., Dar al-Uswah, 1416 AH), 291.

سليمان بن إبراهيم، القندوزي، *ينابيع المودة*، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، ج3، (شهر ندارد، دار الأسوة، 1416)، 291۔

17. Muhammad, 'Ulayyu, *Manahij al-Lughawiyyin fi Taqriri al-'Aqidah*, (al-Riyaz, Maktabat Dar al-Minhaj, nd.), 24-25.

محمد، عليو، *مناهج اللغويين في تقرير العقيدة*، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، لا سنة)، 24-25۔

18. Ibid.

أيضا۔

19. Ibid.

أيضا۔

20. Ibid.

أيضا۔

21. Ibn Jinni, *Al-Khasa'is*, Tahqiq: 'Abd al-Hamid Hindawi, Vol. 3, al-Tab'ah. 3, (Beirut, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 2008), 245-246.

ابن جني، *الخصائص*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج3، ط3 (بيروت، دار الكتب العلمية، 2008)،

22 -Ibid

أيضا

23 -Ibid

أيضا

24 -Ibid

أيضا.

25. Ahmad al-Hashimi, Jawahir al-Balaghah fi al-Ma'ani wal-Bayan wal-Badi', (Al-Maktabah al-'Asriyyah, Sayda, Beirut, 1999 AD), 251; 'Ali al-Jarim, al-Balaghah al-Wadihah, Jam' wa Tartib: 'Ali bin Nayef al-Shahud, (nc., np., 2007), 62; Abd al-'Aziz, Qalqilya, *al-Balaghah al-Istilahiyyah*, (nc., Dar al-Fikr al-'Arabi, al-Qahira, 1992), 60.

أحمد، الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، (بيروت، المكتبة العصرية، صيدا، 1999م)، 251؛ علي، الجارم، *البلاغة الواضحة*، جمع وترتيب: علي بن نايف الشحود (شهر ندارد، ناشر ندارد، 2007م)، 62؛ عبد العزيز، قلقيلة، *البلاغة الاصطلاحية*، ط3، (شهر ندارد، دار الفكر العربي، ش 1992م)، 60.

26. Muhammad ibn Sa'd al-Din, al-Qazwini, *al-Idah fi 'Ulum al-Balaghah*, (Beirut, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, nd.), 274.

محمد بن سعد الدين، القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، (بيروت، دار الكتب العلمية، بلا تفاصيل السنة) 274.

27. Abd al-Hadi al-Fadli, *Tahdhib al-Balaghah*, Al-Tab'ah 3, (Qom, Mu'assasat Da'irat al-Fiqh al-Islami Tibqan li-Madhhab Ahl al-Bayt 'Alayhim al-Salam, 1428 AH), 119.

عبد الهادي، الفضلي، *تهذيب البلاغة*، ط3، (قم، مؤسسة دائرة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، 1428 ق)، 119.

28. Abd al-'Aziz, Qalqilya, *al-Balaghah al-Istilahiyyah*, Al-Tab'ah 3, (al-Qahira, Dar al-Fikr al-'Arabi, 1992), 60.

عبد العزيز، قلقيلة، *البلاغة الاصطلاحية*، ط3 (القاهرة، دار الفكر العربي، 1992م،)، 60.

29. Al-Sharif al-Radi, Talkhis al-Bayan fi Majazat al-Qur'an, Vol. 2,(Dar al-Adwa', Beirut, nd.), 321-322.

الشريف الرضي، *تلخيص البيان في مجازات القرآن*، ج2، (بيروت، دار الأضواء، لا سنة)، 321-322.

30. Al-Sharif al-Radi, *Talkhis al-Bayan fi Majazat al-Qur'an*, Vol. 1, (Beirut, Dar al-Adwa', nd.), 153-154.

الشريف الرضي، *تلخيص البيان في مجازات القرآن*، ج1، (بيروت، دار الأضواء، لا سنة)، 153-154.

31. Ash-Sharif Al-Murtada, *Ghurar Al-Fawa'id wa Durar Al-Qala'id (Al-Ma'ruf bi Amali Al-Murtaza)*, Tahqiq: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (Egypt, Dar Ihya' Al-Kutub Al-'Arabiyya, 1954), 565-566.

الشريف المرتضى، *غرر الفوائد ودرر القلائد (المعروف بآمالي المرتضى)*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، (مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1954م)، 565-566.

32. Ibn al-Hasan, al-Tabrisi, *Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Quran*, Vol. 3, (Beirut, Dar Al-Murtada, 2006), 3070308.

ابن الحسن، الطبرسي، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، ج3، (بيروت، دار المرتضى، 2006م)، 307-308۔

33. Ibid.

أيضا۔

34. Ash-Sharif Al-Murtada, *Ghurar Al-Fawa'id wa Durar Al-Qala'id (Al-Ma'ruf bi Amali Al-Murtada)*, 565-566.

الشريف المرتضى، *غرر الفوائد ودرر القلائد (المعروف بآمالي المرتضى)*، 565-566۔

35. Ash-Sheikh Al-Mufid, Tashih I'tiqadat Al-Imamiyyah, Tahqiq: Hussein Darkahi, (Dar Al-Mufid, Beirut, Lebanon, 1993 AD, Tab'ah.2), 28-29,

الشيخ المفيد، *تصحيح اعتقادات الإمامية*، تحقيق: حسين دركاهي، ط2، (بيروت، دار المفيد، 1993م)، 28-29۔